رحلة ابن بطوطة (703- 779هـ /1304 - 1377 م) الى بعض المدن والبلدان في العالم العربي والغربي (دراسة تحليلية)

م.م. زيد سجاد كاظم
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف
Zaydabodyz333@gmail.com

الملخص :

تعتبر الرحلات التي قام بها الرحالة في الوقت السابق ذات اهمية كبيرة لما تحمله في كنفها من توثيق يساعد كثيرا على فهم ودراسة المجتمعات انذاك , لذلك ومن بين هذه الرحلات رحلة ابن بطوطة التي امتازت في اغلبها على دراسة المجتمعات وكيف هي احوالهم السياسية والاقتصادية فضلا عن الاجتماعية ومن هذا المنطلق نجد ان هذه الرحلات قد اغنت كثيرا المصادر التاريخية بواقع تلك البلدان التي زارها الرحالة وبينت اوجه الاتفاق والاختلاف في التدوين بين الرحالة الاخرين امثال ابن جبير وغيرهم في ذكر الحدث التاريخي, فضلا انها عكست صعوبة التحديات التي تواجههم عند الانتقال والسفر من بلد لى اخر وماهي التغيرات التي طرأت على ذلك البلد خلال الزيارة التالية, كذلك بيان الدور السياسي الذي لعبه ابن بطوطة خلال زيارته الى بلاد الصين وكيف كان اهتمام حاكم ولايتها فيه , فضلا عن زيارته الى الموصل وبلاد الشام لعدة مرات وماهي المظاهر التي شاهدها والتي لفتت انتباهه , في حين نجد ان هناك الكثير من الاراء التي عارضت ما جاء به الرحالة المغربي واشكلت على كتاباته ووصل الحال في بعضها الى انكار وتشكيك بما اورد . كان ابن بطوطة قائمة على الوصف الدقيق للبلدان والمدن التي زارها فهو يصف كل مايصادفه وصفا دقيقا متمعنا في طبيعة هذا الامر لايخفي مما رئاه شيئا , ميالا للاستكشاف ووصل في بعض الاحيان الى اماكن كانت قد شكلت خطرا على حياته الا انه اصر على الاستمرار وتدوين مايراه كما سنرى في قادم البحث .

الكلمات المفتاحية : ابن بطوطة , الرحلة , الموصل , بلاد الشام , الصين , طنجة , الفندقة .

The Journey of Ibn Battuta (703-779 AH / 1304-1377 AD) to Some Cities and Countries in the Arab and Western Worlds (An Analytical Study)

Assistant Lecturer Zaid Sajjad Kadhim

General Directorate of Education in Najaf Governorate

Zaydabodyz333@gmail.com

Abstract :

The journeys undertaken by travelers in the past are of great importance due to the documentation they provide, which greatly aids in understanding and studying societies of that time. Among these journeys is that of Ibn Battuta, which was distinguished by its focus on studying societies and their political, economic, and social conditions. From this perspective, we find that these journeys greatly enriched historical sources with the realities of the countries visited by the travelers and highlighted the points of agreement and disagreement in the accounts of other travelers, such as Ibn Jubayr, regarding historical events. Furthermore, they reflected the difficulties they faced when traveling from one country to another and the changes that occurred in those countries during their subsequent visits. They also revealed the political role played by Ibn Battuta during his visit to China and the interest shown in him by

the ruler of its province. In addition, they documented his multiple visits to Mosul and the Levant, and the phenomena he witnessed that caught his attention. However, we also find that many opinions have opposed the Moroccan traveler's accounts, questioning his writings, and in some cases, even denying and doubting his information. He reported. Ibn Battuta's account was based on the accurate description of the countries and cities he visited. He described everything he encountered with meticulous detail, paying close attention to the nature of the matter. He did not conceal anything he saw. He was inclined to explore and sometimes reached places that posed a danger to his life, but he insisted on continuing and recording what he saw, as we will see in the next part of the Serch**.**

Keywords: Ibn Battuta, journey, Mosul, Levant, China, Tangier, hospitality.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد

ان دراسة الرحلات الجغرافية لها اهمية كبيرة في تحديد مسار البلدان التاريخي وكيف ان هذه البلدان تطورت ونمت على مر العصور و ان مجتمعاتها قد تثقفت ووصلت الى مرحلة عالية من الرقي الحضاري الذي نتج عنه تطور وظهور واضح لمختلف النواحي سواء كانت تلك النواحي اقتصادية او اجتماعية او سياسية , بما لايخفى من توسع مستمر لتلك البلدان .

لذلك ومن خلال الرحلات والاستكشافات التي ظهرت انذاك استطاع الباحثين من تحديد وجهة وبوصلة كل رحالة قام بها وما هي اهدافه وهل كان الهدف مساعدة الاجيال القادمة ام هو للحصول على مناصب سياسية وجاه في تلك البلدان , ومن هذا الجانب نرى ان الرحالة عبد الرحمن المعروف بابن بطوطة قد خاض غمار السفر لدوافع ليست محددة كما سنرى في قادم البحث فهو سعى جاهدا لنقل الاحداث والوقائع ولم يكتفي بزيارة البلد لمرة واحدة بل تعمد او سعى لزيارة تلك البلدان عدة مرات لكي يرى التغيرات التي تحدث بين زيارة واخرى .

فكانت زيارته الى الموصل لبيان الحقائق والوقائع التاريخية التي ظهرت هناك والتأكد ممانقل منها , فضلا عن نقل طبيعة حكمها ومجتمعها , للانتقال بعد ذلك الى زيارته الى بلاد الشام وكيف استطاع مواجهة الوباء الذي كان سائدا فيها على الرغم من عدم علمه بذلك عند سفره , ثم تنتهي الدراسة بتوجهه نحو الصين وكيف لقي معاملة حاكمها هناك وكيف اصطفاه واعطاه المناصب السياسية , في وقت كان الاسلام قد انتشر وذاع صيته.

عمل ابن بطوطة على نقل صورة واقعية عن تلك البلدان التي زارها وعلى الرغم من اختلاف ماورد مع الرحالة الاخرين الا انه سلط الضوء على معلومات مهمة وقيمة تمثلت في عادات وتقاليد وطبيعة حكم البلدان التي زارها , وطبيعة ادارة شؤونهم الاجتماعية والمالية , فضلا عن سعيهم لاظهار الوجه السمح والرحب في استقبال الضيوف بهدف اظهار بلدانهم بافضل صورة حسب مابين الرحال موضوع التجارة , ومما يميز رحلاته انه لم يكتفي بالسفر عن طريق البر وانما كانت سفراته عابرة للقارات عن طريق البحر على الرغم من صعوبة ذلك وعدم توفر الوسائل المساعدة على السفر آنذاك .

كان البحث مقسم الى بحثين الاول خاص بالرحالة نفسه والبحث الثاني خاص ببعض المدن والبلدان التي زارها لينتهي البحث بالخلاصة وقائمة المصادر والمراجع التي حوت على الكثير من المصادر التاريخية المعاصرة للرحالة او خلال فترات حياته , فضلا عن وجود المراجع العربية والغربية التي اغنت البحث .

اهداف البحث :

١- تعريف الرحالة ابن بطوطة
٢- اظهار الاهتمام برحلة ابن بطوطة من خلال المؤرخين والباحثين.
٣- اظهار طبيعة البلدان موضوع الدراسة انذاك من خلاله.
٤- تسليط الضوء على اهم المشاكل التي واجهة الرحال موضوع الدراسة.
٥- اظهار حقيقة الاسلام الذي ظهر بقوة في بلاد الصين انذاك وتعامل عائلة يوان الصينية مع المسلمين.

المنهجية :

١- استخدمت الدراسة التحليلية في هذا البحث .
٢- استخدام المنهج النقدي للتحليل.
٣- الاعتماد على ترجمة ماذكر من اسماء غريبة من خلال المصادر المتوفرة.
٤- استخدام المراجع التاريخية الحديثة مع المصادر للخروج بمادة علمية متوازنة .

مشكلة البحث :

١- تضارب الاراء في الحدث الواحد بين ابن بطوطة موضوع الدراسة والرحالة الاخرين .
٢- عدم توفر مخطوطات او وثائق جديدة غير مدروسة تساعد في اثراء البحث زيادة .

خطة البحث :

قسم البحث الى مبحثين :

- المبحث الاول : دراسة حياة ابن بطوطة واسهاماته
- المبحث الثاني : دراسة بعض البلدان التي زارها الرحالة موضوع الدراسة وبالترتيب (الموصل , بلاد الشام , الصين) .
- الاستنتاجات
- المصادر والمراجع

المبحث الاول / ابن بطوطة : (703- 779هـ /1304 - 1377 م)

اولا / اسمه

هو محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن يوسف اللواتي [1] من اهل طنجة [2] يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن بطوطة , كان يلقب بشمس الدين [3] ولد في مدينة طنجة [4] يوم ثنين (١٧ رجب سنة 703 هـ / 1304 م) [5]

[1]) نسبه الى لواتة احد قبائل البربر والتي انتشرت بطونها على طول ساحل افريقيا حتى مصر للمزيد مراجعة, ابن بطوطة , محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت 779 هـ /1377م) رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار تح كرم البستاني , ط1, بيروت , دار صادر(1418 هـ / 1997م) , ص 5.
[2]) طنجه تقع مدينة طنجةعلى الساحل الشمالى للمغرب العربي على طول مضيق جبل طارق الذي يربط المحيط الاطلسي بالبحر الابيض و تعد من اقدم المدن في المغرب الاقصى .

ثانيا/علم ابن بطوطة :

لا توجد اشارة لدى المؤرخين حول نشأة ابن بطوطة العلمية الأولى سوى ما ذكر في سياق رحلته ، ويبدوا أنه قد حصل على ما تيسر من العلم بمسقط رأسه طنجة وتعلق بعلوم الدين لاسيما علم الفقه وفقاً للمذهب المالكي السائد بشمال أفريقيا [3] , وينحدر ابن بطوطة من بيت فقهاء تولى الكثير منهم القضاء ويذكر ابن بطوطة أثناء حديثه عن رحلته إلى الأندلس أنه لقي في مدينة رندة أحد أعمامه وكان قاضياً مما يؤكد أنه ينحدر من أسرة من أهل العلم والفقه [4] , وقد تولى ابن بطوطة القضاء أثناء رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة : (٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) حيث بين أنه تولى القضاء على الركب القادم حيث قال " وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخا إلى الحجاز في مدينة تونس يعرف بأبي يعقوب السوسي من أهل أقل من بلاد إفريقية ، وأكثر المصادمة ، فقدموني قاضياً بينهم وخرجنا من تونس في أواخر شهر ذي القعدة سالكين طريق الساحل [5] , كما تولى ابن بطوطة القضاء في عدة بلدان منها بلاد الهند وفي ذلك يقول ابن الخطيب " ولما استقر عند ملك الهند فحظي لديه ، وولاه القضاء وأفاده مالا جسيماً " [6] , وتولى القضاء أيضاً في جزائر ذيبة المهل وفي ذلك يقول ابن بطوطة " ونساؤها لا يغطين رؤوسهن ولا سلطانتهن تغطي رأسها ويمشطن شعورهن ويجمعنها إلى جهة واحدة ولا يلبس أكثر هن إلا فوطة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل وسائر أجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين في الأسواق وغيرها ولقد جهدتُ لما وليت القضاء بها أن أقطع تلك العادة وأمرهن باللباس فلم أستطع ذلك [7].

وتولى القضاء في بعض مدن المغرب بعد أن عاد إليها وبذلك يتضح لنا أن ابن بطوطة كان كأمثال الرحالة الذين رحلوا من قبله من بلاد المغرب إلى المشرق من أجل أداء فريضة الحج وأخذ العلم عن العلماء كما كان منذ بداية رحلاته موضع احترام الشيوخ وتقديرهم ، ومن وصفه لمجالسته للعلماء وأحاديثهم معه في شؤون العلم نستدل على أنه كان متمكنا من علوم الدين [8].

صفاته :

امتاز ابن بطوطة بسرعة التأقلم مع البيئات المختلفة التي يصادفها في رحلته ، فكان يتكيف مع أهل البلاد التي يحل بها ويندمج معهم ومع عاداتهم [9] أضف إلى ذلك ما امتاز به ابن بطوطة من شدة الملاحظة وقوتها كأنه واحدا منهم فلا عجب أن تمتاز رحلته بكونها سجلا مهما للحياة الاجتماعية بل

---

[3]) ابن الخطيب, لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ /1375م) الاحاطة في اخبار غرناطة , تح محمد عبد الله عنان ,مكتبة الخاجي القاهرة , ط 4 (1421هـ / 2001م) , ج 3 ص 273.

[4]) طنجه بلد على ساحل بحر المغرب تقابل الجزيره الخضراء واثارها باهره بنا بنائها بالحجار ليس لها سور على ظهري جبل وماؤها من قناه تجري لهم لايعرف منبعها بينها وبين سبت مسيره يوم وهي اخر حدود افريقية و ينتسب لها عدد من العلماء للمزيد مراجعة, الحموي,شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت 626هـ / 1229م) معجم البلدان, دار صادر , بيروت لبنان ,مج4, ص 43.

[5]) ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة ص14

[6]) كراتشكوفسكي, اغناطيوس يوليا نوفيش كراتشكوفسكي (ت 1370هـ / 1951م) تاريخ الادب الجغرافي العربي , نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم , ط2, تونس ,دار الغرب الاسلامي(1408 هـ / 1988م) ص 457 .

[7]) مؤنس , حسين ,ابن بطوطة ورحلاته, دار المعارف - القاهرة , ص 17.

[8]) ابن بطوطة , رحلة ابن بطوطة ص 14 .

[9]) ابن الخطيب ,الاحاطه, ج3 , ص 273.

[10]) ابن بطوطة , رحلة ابن بطوطة , ص577

[11]) عابد, محمد يوسف عمر, بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة , رسالة منشورة , تح صابر محمد دياب , جامعةام القرى ص 29.

[12]) المرجع نفسه , ص 29.

السياسية والاقتصادية في أقطار لم نكن نعرف عنها شيئا في الوقت الذي زارها فيه لولا انطباعاته هذه التي سجلها بكل دقة وأمانة في رحلته [13].

مؤلفاته وشك المؤرخين فيه:

فيما يتعلق بمؤلفات ابن بطوطة فلا نعرف له مؤلف غير رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار والتي أمر السلطان أبو عنان ابن بطوطة بإملائها على الكاتب أبي عبدالله بن جزي فقام بن جزي بما كلف به من ضم أطراف الرحلة وترتيبها وتصنيفها وتهذيبها وانتهى ابن جزي من تدوينها في ثالث من ذي الحجة سنة (756 هـ / 1355 م) , وقد اهتم المستشرقون برحلة ابن بطوطة ، فنشروا منها قطعاً وأجزاء ثم نشرت كاملة مع ترجمة فرنسية في عام (١٢٧٥ هـ / ١٨٥٩ م) ثم طبعت في القاهرة بطبعات مختلفة ، وترجمت إلى الألمانية عام (1330 هـ / ١٩١٢ م) .

وقد كانت رحلة ابن بطوطة موضع شك عند بعض الناس وبعض المؤرخين تذكر منهم العالم القدير ابن خلدون الذي يقول في مقدمته " أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلهي حاضرة ملك الهند ، وهو السلطان محمد شاه واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروزجوه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله [14].

ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان ، وكأن يحدث عن شأن رحلته ، وما رأى من العجائب بمالك الأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ، ويأتي من أحواله بها يستغربه السامعون ، مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان ، وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه ، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به ، وينصب أمامه في ذلك الحفل مجانيق على الظهر تُرمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس ، إلى أن يدخل إيوانه ، وأمثال هذه الحكايات وقد أنكر ذلك عليه ابن خلدون وحدث بهذا الشأن فتناجي الناس بتكذيبه [15] ليومئذ وزير السلطان فارس بن وردار وأراه إنكار أخبار فمنعه الوزير عن إنكار شيء ليس له برهان على إنكاره لجهله أحواله [16].

ومن الذين شككوا في صدق رحلة ابن بطوطة ، العالم أبوالبركات البلفيقي فقد نقل ابن الخطيب في كتابه : " الإحاطة في أخبار غرناطة " ما كتبه شيخه أبو البركات " ثم قفل إلى بلاد المغرب ودخل جزيرة الأندلس فحكى بها أحوال المشرق ، وما استفاد أهله فكذب ، وقال ، لقيته بغرناطة وبتنا ببستان أبي القاسم ابن عاصم بقرية نيلة وحدثنا في تلك الليلة ، وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى وهي على قدر مدينة مسقفة كلها وفيها أثنا عشر ألف أسقف " بل نجد ابن الخطيب يشك في رحلة ابن بطوطة بقوله : " وأحاديثه في الغرابة أبعد هذا " [17], فضلا أن ابن الجزي قد شك في أقوال ابن بطوطة بقوله : وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار وهذا الشك في رحلة ابن بطوطة نتج عن فقدان ابن بطوطة أوراق رحلته نتيجة سلب الهنود له كل ما كان معه ومنها مذكراته التي دونها عن رحلته [18]، فاعتمد ابن بطوطة على ذاكرته في إملاء رحلته على ابن جزي ليكتبها وأن ماذكره أبن بطوطة بعد غريب خاصة أنه يتحدث عن أناس عاشوا على نمط معيشه مختلف عما يعرفه أهل المغرب.

---

[13]) كحالة , عمر رضا, معجم المؤلفين, مؤسسة الرسالة - بيروت , ط1, ج3, ص 452.
[14]) كحالة ,عمر, معجم المؤلفين , ج٣, ص ٤٥٢.
[15]) ابن خلدون , ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1406م) , مقدمة ابن خلدون , تح عبد الله محمد الدرويش, ط1 (1425 هـ / 2004م) دار يعرب, دمشق , ص 170.
[16]) البستاني , بطرس , دائرة المعارف , بيروت , ج1 , ص 400.
[17]) ابن الخطيب, الاحاطة , ج3 ص 273.
[18]) ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة, ص ١٤.

منهجيته :

اتبع ابن بطوطة أسلوباً سهلاً بسيطاً في جميع رحلته فيها عدا أسلوب السجع والإنشاء عند وصفه أي مدينة عند القدوم وكان ذلك الأسلوب ليس أسلوب ابن بطوطة إنها أسلوب ابن الجزي الذي أملى عليه ابن بطوطة رحلته.

مميزات رحلة ابن بطوطة :

امتازت رحلة ابن بطوطة بطول المدة الزمنية التي قضاها متجولا فقد أمضى ما يقارب ربع قرن من التجول بين أنحاء المعمورة حيث بدأت رحلته عام(725 هـ / 1324 م) وعاد إلى فاس سنة (750 هـ 1349/ م) ، بالإضافة إلى انطلاقه برحلة أخرى باتجاه الأندلس والسودان استمرت ما يقارب أربع سنوات ناهيك عن المسافة التي قطعها والتي تقدر بحوالي مائة وخمسة وسبعون ألف ميل فهو بحق رحالة العصر [19]، بالإضافة إلى ذلك تميزت رحلاته بكثرة النقد والتشكيك حول مشاهداته ووصفه للبلدان والشعوب التي زارها ، وتعرضها للنقد والتحليل من دارسي الرحلة [20].

ويرى الذين يدرسون رحلة ابن بطوطة إن الاختلال والتداخل في المواضيع في رحلات ابن بطوطة سببه يعود إلى مدون الرحلة ابن الجزي وليس إلى ابن بطوطة الذي سرد أحداث وتفاصيل رحلته على مدون الرحلة فقام بتدوين أحداث ومشاهدات ربع قرن بشكل موجز ، وربما لو دون الرحلة الرحالة نفسة لوجدنا بين أيدينا نص أغنى من هذا النص وابتعدت الرحلة عن التشكيك والتهويل كما يدعي البعض [21].

وكذلك نرى ان الرحالة الكبير ابن بطوطة كان له من العلمية ماقد يساعده في عدم الوقوع في الاخطاء والتدوين بصورة عشوائية لذلك كان لابد من انصاف هذا العالم الكبير والسعي الى بيان اهمية رحلاته وتدويناته بنوع من الامانة والحيادية .

استعانة ابن بطوطة بالمؤلفين :

يبدو أن ابن بطوطة الى جانب اعتماده على ذاكرته القوية فهو قد استعان ببعض كتب المؤلفين السابقين له ويفصح عن ذلك قول ابن جزي : على أنه سلك فى اسناد صحاحها أقوم المسالك ، وخرج عن عهد ، سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك ، وقيد المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ، ليكون أنفع في التصحيح والضبط

عند حديثه عن الحجاز وبلاد الشام وبغداد استعان برحلة ابن جبير ، وكان يشير الى ذلك ففي وصفه لمدينة دمشق قال : " وكل وصف وان طال فهو قاصر على محاسنها ولا أبدع مما قاله أبو الحسين بن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها . كما أنه استعان يكتب أخرى أثناء حديثه عن فضائل . الجامع الأموى بدمشق فقال : " وقرأت في فضائل و دمشق عن سفيان الثوري وعن مدينة دمياط قال : " والناس يضبطون اسمها بإعجام الذال ـ ومنهم من يضبطها با همال الدال [22].

---

[19]) كراتشكوفسكي ,تاريخ الادب الجغرافي , ص 456.
[20]) للمزيد من المعلومات يرجى النظر الى ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 3 ص 273 , وكذلك ينظر الى، العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن احمد بن علي بن احمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ/ 1449م) الدرر الكامنة ، ج 5 ، ص ٢٧٧.
[21]) كراتشكوفسكي ,تاريخ الادب الجغرافي , ص 465.
[22]) ابن بطوطة, رحلة ابن بطوطة, ص 33

وفاته :

اختلف المؤرخون في قضية وفاة ابن بطوطة فبعضهم اشار الى انه توفي عام (777هـ / 1375 م) [23] ويذكر الدكتور أحمد رمضان في كتاب الرحلة والرحالة المسلمون بأن ابن بطوطة قد وافته المنية في فاس عام (779 هـ / 1377 م) [24] كما يعتقد البعض من أنه توفي بطنجة ، وفي ذلك يقول الأستاذ عبدالله كنون : " ومن هنا يعلم انه لم يتوف بطنجة ، وإن كان يوجد بها ضريح ينسب إليه ، ويفد الرحالة من كل جنس اذا قدموا طنجة عليه ، لكننا نستريب في أن يكون ذلك هو مرقد الرحالة الحقيقي لعدة اسباب نستطيع ان نوجزها بالنقاط الاتية :

أولاً / لأن وفاته لم تكن بطنجة

ثانياً /لأن اسم صاحب الضريح في ألسنة الناس أحمد بن علال وليس اسم بطوطة

ثالثا / لأن طنجة خضعت للاحتلال الأجنبي ، البرتغالي ثم الإنجليزي ما ينيف على قرنين من الزمن بعد موت ابن بطوطة فيبعد أن يبقى قبره محفوظاً ومعروفا بعد هذه المدة الطويلة التي تغيرت فيها معالم المدينة من جميع الوجوه ، وعلى كل حال فهو وأن يكن ذا صفة رمزية ، ضريح متواضع جدا لا يتناسب وعظمة الرجل الذي طبقت سمعته الأفاق [25].

المبحث الثاني :

رحلة ابن بطوطة الى الموصل وبلاد الشام والصين :

اولا/ رحلته الى الموصل :

تعد رحلة ابن بطوطة الى الموصل من الرحلات المهمة في تاريخ القرن 8 الهجري لكونه عاصر مرحلة مهمة في تاريخ العالم الاسلامي حيث كان العراق انذاك تحت سلطة المغول الايلخانيين(651 / 756 هـ) [26]وهي تعد مرحلة تاريخية متأخرة وخصبة في الوقت ذاته .

1- وصف المدينة :

فقال عنها واصف اياها (وهي مدينة عتيقة ، كثيرة الخصب ، وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع ، عليها سور محكم البناء مشيد البروج ، وتتصل بها دور السلطان ، وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله ، وعلى البلد سوران اثنان وثيقان ، أبراجهما كثيرة

---

[23]) كنون , عبد الله كنون ,ذكريات مشاهير رجال المغرب , , تح الدكتور محمد بن عزوز , دار ابن حزم, ,ط1, (1430هـ/2010م) ج1 , ص37.

[24]) احمد, رمضان احمد ,الرحلة والرحالة المسلمون , , دار البيان العربي , ص386.

[25]) كنون , ذكريات مشاهير العرب , ص 39-38.

[26]) المغول الايلخانيين(651-756) : هي الدولة المغولية التي تأسست في بلاد فارس والعراق واسيا الصغرى والكرج ، تحت سلطة الخان الاعظم قوبيلاي في الصين ، قبل ان تستقل في أواخر القرن 7هجرية في عهد السلطان محمود غازان وسيطرت على الربوع الخصبة الواقعة الى الشمال من بلاد فارس ، اول ايلخان حكمها هو هولاكو مؤسسها واتخذ من مدينة مراغة عاسمة له وحكم ابنائه واحفاده وحمل لقب ايل خان وهو تعبير تركي يتألف من كلمتين " ايل " بمعنى تابع و " خان " بمعنى ملك وهو تعبير يدل على انها كانت جزء من الدولة المغولية في الصين ، انتهت هذه الدولة بعد ان تولى حكمها عدد من الايلخانات الضعاف ويمكن القول ان الجلائريين والمظفريين والسرداريين وغيرهم تركوا بلاد فارس في فوضى عارمة حتى تمكن تيمور لنك فيما به من القضاء عليها لمزيد من التفاصيل ينظر : الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (718 هجرية / 1319م) ، جامع التواريخ ، تر : محمد صادق نشأت ، محمد الصياد ، دار أحياء الكتب= =العربية ، القاهرة ، - موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد دار احياء الكتب العربية القاهرة (1380هـ - 1961 م2) ج1 , ص 332-343 .

متقاربة ، وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجدارة قد تمكن فتحها فيه لسعته . ولم ار في اسوار البلاد مثله ، إلا السور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند) [27].

اشار ابن بطوطة هنا الى تاريخ المدينة القديم وكونها من المدن القديمة مواصفا قلعتها الحدباء واسوارها المحكمة مع انتشار دور السلطان حولها ولم يكتف بذلك بل وصف شوارعها ، وبيوت عامة الناس ، مما يدل على وجود نهضة عمرانية وحضارية ووعي هندسي مرموق .

2- جوامعها واسواقها :

قال ابن بطوطة عند التطرق الى هذا الموضوع ان للموصل ربض كبير ، فيه الجوامع والحمامات والفنادق والاسواق ، وبه جامع على شط دجلة ، تدور به شبابيك حديد ، وتتصل به مساطب تشرف على دجلة في النهاية من الحسن والاتقان ، وامامه مارستان تحدث ابن بطوطة عن الربض الموجود في المدينة ومساحته الواسعة اذ بنيت فيه الجوامع والحمامات والفنادق والأسواق والمشفى ، مما يشير الى تداخل المظاهر العمرانية فيها وملاصقتها لبعضها البعض لخدمة السكان والزائرين واصفا سعة جوامعها وروعة بنائها فضلا عن وجود المشفى لمعالجة المرضى مما يشير إلى وجود وعي صحي وثقافي بين اهلها . ويستطرد ابن بطوطة في وصف جوامع المدينة قائلا وبداخل المدينة جامعان ، احدهما قديم والآخر حديث . وفي صحن الحديث منهما قبة في داخلها خصة رخام مثمنة ، مرتفعة على سارية رخام ، يخرج منه الماء بقوة وانزعاج ، فيرتفع مقدار القامة ثم ينعكس فيكون له مرأى حسن ان وصف ابن بطوطة لجوامع المدينة يدل على ما كانت تتمتع به من رخاء اقتصادي وتوضح هذا الأمر من خلال طبيعة بنائهما من الرخام المثمن , ووصف ابن بطوطة قيسارية الموصل وابوابها الحديد وما حوته من بيوت ودكاكين قائلا وقيسارية الموصل مليحة لها أبواب حديد ، ويدور بها دكاكين [28].

3- اتفاقه مع ابن جبير في وصف المدينة :

وعن مشاهد المدينة المقدسة تحدث قائلا كما فعل ابن جبير وبهذه المدينة مشهد جرجيس النبي " عليه السلام " ، وعليه مسجد ، والقبر في زاوية منه عن يمين الداخل اليه ، وهو فيما بين الجامع الجديد وباب الجسر . وقد حصلت لنا زيارته والصلاة بمسجده ، والحمد الله تعالى واضاف ابن بطوطه قائلا وهنالك تل يونس " عليه السلام " ، وعلى نحو منه العين المنسوبة اليه ، يقال انه أمر قومه بالتطهر فيها ثم صعدوا التل ودعا ودعوا ، فكشف الله عنهم العذاب ، بمقربة منه قرية كبيرة ، بقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفة بنينوى ، مدينة يونس " عليه السلام " ، وأثر السور المحيط بها ظاهر ، ومواضع الابواب التي هي فيه متبينة . وفي التل بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ، ومقاصر ومطاهر وسقايات ، يضم الجميع باب واحد ، وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حرير وله باب مرصع ، يقال انه الموضع الذي به موقف يونس " عليه السلام " ، ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال انه كان بيت متعبده " عليه السلام " واهل الموصل يخرجون في كل ليلة جمعة إلى هذا الرباط يتبعدون فيه . [29]

4- ذكر اميرها الحاكم :

وذكر عن اميرها حين زارها قائلا :(وكان أميرها حين قدومي عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر ، وهو من الكرماء والفضلاء ، أنزلني بداره وأجرى علي الانفاق مدة مقامي عنده ، وله الصداقات والايثار المعروف وكان السلطان أبو سعيد يعظمه ، وفوض اليه أمر هذه المدينة وما يليها . ويركب في موكب عظيم من مماليكه وأجناده ، ووجوه أهل المدينة وكبراؤها يأتون للسلام عليه غدوا وعشياً ، وله شجاعة ومهابة . وولده في حين كتب هذا في حضرة فاس ، مستقر

[27]) ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة ,ص 249.
[28]) المصدر نفسه .
[29]) ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة ,ص 250.

الغرباء ومأوى الفقراء ومحط رحال الوفود ، زادها الله بسعادة أيام مولانا امير المؤمنين بهجة واشراقاً وحرس أرجاءها ونواحيها) ونلاحظ هنا ان ابن بطوطة اسهب في الحديث عن اميرها وموكبه وما اتسم به من ابية ومهابة منه

5- مغادرته لمدينة الموصل :

عندما عزم ابن بطوطة على مغادرة الموصل ذكر قائلاً : (ثم رحلنا الموصل ونزلنا قرية تعرف بعين الرصد ، وهي على نهر عليه جسر مبني ، وبها خان كبير ، ثم رحلنا ونزلنا قرية تعرف المويلعة)[30] ان الطريق الذي سلكه ابن بطوطة خلال مغادرته الموصل هو نفسه الذي اذ نزل في قرية عين الرصيد ثم قرية الموبلعة ، مما يشير انه تعمد السير فيه بسبب انه قليل المخاطر وان التجار ياتون من خلاله , وعندما قرر ابن بطوطة العودة إلى بغداد سلك طريق الموصل أيضاً وقال (ثم رحلت عائداً إلى بغداد ، فوصلت إلى مدينة الموصل ، فوجدت ركبها بخارجها متوجهين إلى بغداد ، وفيهم امرأة صالحة عابدة تسمى بالست حجت مرارا ، وهي ملازمة الصوم . سلمت عليها وكنت في جوارها ، ومعها جملة من الفقراء يخدمونها . وفي هذه الوجهة توفيت رحمة الله عليها)[31] ليكون بذلك قد ختم رحلة مميزة الى الموصل واصفا المشاهد الجميلة والتي تنم عن عراقة هذه المدينة وتقمها على المستوى الثقافي والاجتماعي فضلا عن الجانب العمراني المتمثل ببناء الجوامع والبيوت والدكاكين وغيرها .

ثانيا / رحلته الى بلاد الشام :

زار ابن بطوطه بلاد الشام عدة زيارات وكما يلي :

1-الزيارة الاولى:

كانت سنة (726 هـ /1325م) عندما غادر طنجة مسقط راسه في يوم الخميس الثاني من شهر رجب عام (725 هـ / 1324م) عندما قصد اداء فريضه الحج وزيارة قبر الرسول (ص)[32] سالكا الطريق البري مارا في طريقه على بعض المدن الكبرى بشمال افريقيا حتى وصل الى الاسكندرية واقام بها ثلاثة ايام لقضاء بعض المآرب ثم غادرها الى مدينه الجزائر)[33]:

ثم استمر بعد ذلك في زيارة المدن المختلفة الواقع على طول الطريق البري كما اشرنا حتى وصل الى القاهرة فذكر نيلها واهراماتها ومزاراتها وسلطانها الملك الناصر محمد قلاوون)[34], ثم سافر جنوبا الى الصعيد بقصد السفر بحرا الى الحجاز عن طريق ميناء عيذاب على البحر الاحمر ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب الحرب الدائرة بين البجاه والاتراك فقرر العودة الى القاهرة مرة اخرى حيث قرر ان يسافر الى الحجاز عن طريق بلاد الشام في منتصف شعبان من عام(726 هـ / 1325م) وهذه الزيارة الاولى له)[35] , وفي طريقه من القاهرة الى بلاد الشام مر ابن بطوطة على مدينة بلبيس والعريش وكان الطريق رملي الى ان وصل الى مدينة غزة وهي اول بلاد الشام ممايلي مصر)[36]

ونلاحظ انه لم يحدد زمن وصوله الى غزة وتأهب في مصر لزيارة بلاد الشام و مكث في بلاد الشام في زيارته الاولى الى بداية شهر شوال من العام نفسه ثم خرج مع الركن الشامي الى المدينة المنورة ومكة

---

[30]) المصدر نفسه, ص 251.
[31])المصدر نفسه .
[32]) المصدر نفسه .
[33]) مدينه على ضفه البحر بين افريقيا والمغرب بينها وبين مدينة بجاية اربعة ايام للمزيد مراجعة , الحموي , , معجم البلدان, ج 2, دار صادر- بيروت , ص 132.
[34]) رحلة ابن بطوطة ص 39 - 44 .
[35]) المصدر نفسه ص 53 .
[36]) المصدر نفسه ص 54 .

المكرمة لاداء فريضة الحج والزيارة , زار خلال هذه الفترة جميع انحاء المدينة وزار المشاهد والمزارات بها ولم يكتفي بذلك بل قام برحلات قصيرة الى القرى والارباض [37] التي كانت تحيط بها و تجول في جبل قاسيون [38], كما اسهب في الحديث عنها بوصف جامعها الاموي ونظام الاوقاف بها وفضائل اهلها بالاضافة الى ابراز النواحي الاجتماعية وقد جاء حديث او عن مدينة دمشق افضل ما يكون في الرحلة بالقياس الى المدن الاخرى في الشام ويعود ذلك الى طول الفترة الزمنية التي قضاها بالمدينة مغادرة في بداية شهر شوال مع الركن الشامي قاصدا ارض الحجاز [39].

2- زيارة ابن بطوطة الثانية لبلاد الشام سنة (733هـ / 1333م)

كانت زيارته الثانية بعد فريضة الحج بعد غياب استمر لاكثر من ست سنوات من رحلته الاولى لها وكان ابن بطوطه خلال فترة غيابة ان بلاد الشام قد زار مكة ثلاث مرات ليواصل سيره في الصحراء الى ان وصل الى عيذاب بعد مسيرة استمرت تسعة ايام ثم تابع مسيرته الشمال مارا بالمدن المصرية الى ان وصل القاهرة واقام بها اياما ثم سافر على طريق بلبيس الى بلاد الشام كان مقدمة لبلاد الشام هذه المرة كمقدمه في الرحلة الاولى . ذكر ابن بطوطة في رحلته ان من عاداتهم في سفره الا يعود على طريق تركها من قبل ما امكنه ذلك لكنه اضطر في هذه الفترة ان يعود على نفس الطريق الذي سلكه في المرة الاولى بسبب عجزه عن تغيير هذا الطريق لاحداث كانت قائمه هناك [40], و نلاحظ ان زيارته الثانية الى بلاد الشام كانت مرورا فقط لانه كان يريد ان يتابع رحلته الى اسيا الصغرى [41], والدليل على ذلك انه لم يتعمق في المدن الداخلية لبلاد الشام في مدينه حلب ودمشق ليواصل طريقه على المدن الساحلية بقدر الامكان للوصول الى ميناء اللاذقية كما انه لم يعطيه معلومات اضافية تذكر.

3-زياره ابن بطوطة الثالثة لبلاد الشام سنة(748 هـ / 1348م)

بعد جولات طويلة استمرت اكثر من خمسة عشر عاما زار خلالها ابن بطوطة العديد من المدن والدول والدويلات وصل الى مدينة بغداد في شهر شوال عام(748 هـ / 1348م) ومنها اتجه الى مدينة الانبار وواصل طريقه الى تدمر ومنها اتجه الى مدينه دمشق وقدم مكث ابن بطوطة بدمشق الى نهاية سنة (748 هـ) وفي بداية سنة(749 هـ / 1349م) تجول ابن بطوطة في عدد من مدن الشام باتجاه الشمال الى حمص وحماة والمعرة ومنها الى مدينة حلب حيث بلغه نبأ وباء الطاعون بغزة في اوائل شهر ربيع الاول وعاد مرة اخرى الى حمص فوجد الوباء قد وقع بها ثم غادرها الى دمشق ومنها جنوبا الى عجلون وبيت المقدس وغزة التي وجدها خالية من السكان لكثرة من مات بها ثم تابع سيره الى مصر [42].

الاحوال السياسية في بلاد الشام حسب ما اوردها ابن بطوطة :

ان ما ذكره ابن بطوطة بخصوص الاحوال السياسية في بلاد الشام يكاد ان يكون في اسماء نوابها وامراؤها في كل مدينة من دمشق وحلب وطرابلس بالإضافة الى ما ذكره عن بعض الاحداث السياسية التي وقعت لبعض المدن في مدينة القدس وطرابلس وعكة وصور اللاذقية وما ذكره من احداث عن الحصون والقلاع والثغور التي مر عليها خلال رحلته للشام , واغلب هذه الاحداث السياسية كانت بالطبع قبل مجيئه الى ارض الشام بفترة قصيرة اي زمن حكم دولة المماليك البحرية , وبالرجوع الى هذه الاحداث وجدنا ان ابن بطوطة وقع في كثير من الاخطاء التاريخية خاصة في ما يتعلق بالأسماء التي كان

---

[37]) هو ما حول المدينة من الخارج ولا تخلو مدينة من ربض للمزيد مراجعة : الحموي, معجم البلدان , ج3 , ص 25 .
[38]) هو الجبل المشرف على مدينه دمشق للمزيد مراجعة: البغدادي , صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ,(739هـ / 1339م) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع, تح علي محمد بجاي , دار جبل , بيروت, ج3 , رقم الفقرة 1057.
[39]) ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة, ص 110.
[40]) المصدر نفسه ص 191 .
[41])المصدر السابق , ص 283.
[42]) ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة ,ص 61.

يرددها كما انه لم يعطنا وصفا شاملا لبعض المدن التي كان قد تم خرابها وهدمها على يد بعض ملوك المماليك البحرية مدينة عكا وصور ملكتها بقول وهي خراب مدينة طرابلس [43] في اغلب وصفه يكاد ينحصر في ما كانت عليه المدينتان قبل تخريب هما في زمن اوجههما وازدهارهما وبالتدقيق في ذلك وجدنا انا ابن بطوطة كان يعتمد اعتمادا كليا في وصف هذه المدن على الرحالة السابق له ابن جبير.

نواب الشام الذين ذكرهم ابن بطوطة :

اما نواب مدينة دمشق فقد ذكر منهم اثنين فقط و بصورة مختصرة جدا في رحلته الاولى لبلاد الشام عام (726 هـ / 1326م) ذكر نائبها الامير سيف الدين تنكز امير دمشق [44] قام هذا الامير بالعديد من الاصلاحات فقد عمار الجامع المعروف بدمشق وانشاء الى جانبه حمامات وعمر دار للقران الى جانب دارهم [45]. وايضا ذكر الملك الاخر الذي هو ارغون شاه [46] واسمه سيف الدين ارغون شاه الناصري وكذلك قصة مقتله في دمشق وتولى العديد من الولايات خاصة ولاية حلب الى ان قتل [47].

وهكذا ذكر ابن بطوطه نواب المدن تلقائيا سواء كانت حلب او طرابلس حيث عند دخوله الى حلب قال وكان اميرها الحاج ارقطاي [48].

القلاع والحصون والثغور :

مر ابن بطولة على عدد من القلاع والحصون والثغور خلال تجواله بأرض الشام حيث قال وقلعة حلب [49] تسمى الشهباء و بداخلها جهان ينبع منها الماء فلا تخاف الظمأ ويطيف بها سوران ، وفيها خندق عظيم ينبع منه الماء ، وسورها متدني الأبراج ، وقد انتظمت بها العلالي العجية ـ المفتحة الطيقان، وكل برج منها مسكون ، والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد يتعبده بعض الناس ، يقال ان الخليل (عليه السلام) كان يتعبد به [50]

الاحوال الاقتصادية :

ان ما ذكره ابن بطوطة عن الأحوال الاقتصادية لبلاد الشام في ذلك العصر تدل على أنها كانت فترة ازدهار ، وكانت في صالح بلاد الشام ، ازدهار كل من الزراعة والتجارة والصناعة ، وأصبح الفائض من الحاصلات الزراعية والصناعية المختلفة يصدر الى البلاد المجاورة وخاصة مصر وقد شاهد ابن بطوطة الأسواق العامرة والزاخرة بمختلف أنواع المنتجات المحلية ، التي لم تكن تفته و على المدن

---

[43]) المصدر نفسه , ص61 .
[44]) المصدر نفسه , ص 57.
[45]) للمزيد مراجعة العسقلاني , شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد, ت(853 هـ / 1450م), الدرر الكامنة , , تح محمد عبد المعيد , دار المعارف العثمانية , ج 1 ص 948, ايضا مراجعة : ابن خلدون, المؤرخ ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي التونسي القاهره المالكي ت(808 هـ/ 1406م) , العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر تاريخ ابن خلدون, تح ابو صهيب الكرمي, بيت الافكار, ج5 , ص 948.
[46]) كان هذا الامير قد جاء به الكمال الخطائي الى السلطان ابو سعيد من بلاد الصين تبعثه الى الملك الناصر محمد بن قلاوون فحضي عنده للمزيد مراجعة : الصفدي , صلاح الدين خليل بن ايبك ت(764 هـ /1363م) الوافي بالوفيات , تح احمد الارناؤوط , دار احياء التراث العربي , بيروت لبنان , ط1(1420 هـ /2000م) ج 8 , ص 351 .
[47]) ابن تغري بردي, جمال الدين ابي المحاسن يوسف ت(874هـ /1470م) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , تح محمد حسين شمس الدين , دار الكتب العلمية, بيروت لبنان , ط1, ج 10 ص 243.
[48]) ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة, ص65 .
[49]) ويقول ياقوت الحموي عن قلعة حلب واما قلعتها فيها يضرب المثل في الحسن والحصانة لان المدينة في وطأ من الارض وفي وسط ذلك الوطئ جبل عال مدور صحيح التدوير للمزيد ينظر : الحموي ,معجم البلدان , ,ج2, ص 285 .
[50]) ابن بطوطة , رحلة ابن بطوطة, ص 69.

الكبرى كمدينة دمشق وحلب ، بل تعدتها الى المدن الصغرى والقرى التي كانت تحيط بها ، وهذا دليل واضح على ازدياد القوة الشرائية لدى سكان بلاد الشام ، سواء أكان من سكان المدن أو القرى .

وقد تخصصت بعض المدن في صناعات معينة صارت تشتهر بها ، وتصدرها الى الخارج وهذا بالطبع ينعكس أثره على سكان بلاد الشام ، في مظاهر الرخاء والترف ، وتدل على تمكن أهلها من العمل في السيادين المختلفة ، الفكرية والعلمية والعملية ويتضح ذلك من خلال وصف ابن بطوطة في المجالات الاقتصادية المختلفة حسبما نرى ذلك :

أ- الزراعة:

من المعروف ان بلاد الشام ارض زراعية خصبة وذلك بسبب كثرة جريان الانهار بها ومنها نهر العاصي و نهر بردى بالاضافة الى مرور بعض الانهار باجزاء منها نهر الفرات لذلك كان من الطبيعي ان تتنوع فيها الحاصلات الزراعية من مدينة الى اخرى و ذكر ابن بطوطة بعضا من هذه الحاصلات الزراعية ومنها الزيتون والفواكه وذكر ان مدينة حماه تتميز بمشمشها وقال اذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة وتشتهر نابلس بالبطيخ المنسوب اليها وزراعة التين والزبيب في مدينه صيدا ([51]).

ب- الصناعة :

ذكر ابن بطوطة العديد من الصناعات المختلفة التي كانت تتميز بها بلاد الشام وهي تختلف من مدينة الى اخرى حسب حاصلاتها الزراعية لان اغلب صناعاتها قائم على الزراعة فزراعة الزيتون مثلا قامت عليها صناعة الزيت و زراعة الفواكه المختلفة قامت عليها صناعة انواع مختلفة من الحلوى ومن اشهر المدن التي ذكرها ابن بطوطة في صناعة الزيت نابلس وسيداو سرمين وتخصص سرمين صناعة انواع مختلفة من الصابون اما بعلبك فقد اشتهرت بالصناعات المتعددة اكثر من غيرها ومنها صناعة الدبس ([52]).

ج- التجارة:

امتازت بلاد الشام بوجود الاسواق العامرة ومختلف انواع المنتجات المحلية سواء الزراعية منها والصناعية والتي ادت عن الاستهلاك المحلي فعمد الى تصدير الفائض منها الى الخارج مما ادى الى زياده الدخل المحلي في بلاد الشام فذكر ابن بطوطة ان مدينة نابلس تصدر الزيت الى مصر ودمشق وسائر مدينة الشام ومدينة الصيدا يحمل منها التين والزبيب ومدينة بعلبك تصدر الالبان , كما وصف الاسواق قائلا ان غزة وبيروت والرملة وتزين تمتاز بانها حسنة الاسواق وطرابلس وعجلون لها اسواق كثيرة وحمص اسواقها فسيح و فيها ربظ يسمى بالمنصورية اعظم من المدينة وفيه الاسواق الحافلة وايضا هنالك اسواق على جانب الابواب الاخرى وشملت هذه اسواق الحوانيت الجوهرية بين والكتب وصناع الاواني الزجاج العجيبة وهناك سوق الوراقين وهنالك سوق لبيع الفواكه ([53]).

د - الحياة الاجتماعية :

كان المسلمون في بلاد الشام يشكلون الاغلبية الكبرى من السكان فمنهم اصحاب السيادة والكلمة في البلاد وكانوا من اجناس مختلفة ومنهم الشاميون سكان البلاد الاصليين والمصريين والمغاربة والاتراك وغيرهم وهذا امر طبيعي لان بلاد الشام في ذلك الوقت وبالذات في نظر الرحالة ابن بطوطة كانت تشكل وطنا واحدا اذا لم يكن يوجد ما نسميه اليوم بالتقسيمات السياسية التي فصلت بين اجزاء بلاد الشام , ذكر ابن بطوطة عوائدهم الحسنة وطريقة دفن موتاهم وتضامنهم عند الشدائد وترابطهم من النواحي الاجتماعية والفكرية والدينية وذكر العلماء والاولياء والصالحين وما كانوا يتحلون به من الصفات الحميدة ووقوفهم

---

[51]) المصدر نفسه, ص 62 .
[52]) المصدر نفسه, ص 67.
[53]) ابن بطوطة , رحلة ابن بطوطة, ص 73.

الى جانب الفقراء والمساكين. وقسم ابن بطوطة سكان دمشق وارجعهم الى القبائل المختلفة و تحدث عن فضائلهم وعن ضيافتهم له اذكر عددا من الرجال الذين قاموا بحسن ضيافته وذكر عاداتهم وتقاليدهم ومنها مايحدث يوم عرفه او الجنائز وايضا عاداتهم عند حلول المصائب والشدائد كذلك زار ابن بطوطة القبور والمشاهد في سائر بلاد الشام [54], حيث قال ولمدينة دمشق ثمانية ابواب منها باب الفراد ومنها باب الجابية ومن هذا الباب الصغير وفيما بين هذين البابين مقبرة فيها عدد من الصحابة والشهداء ومنها قبر حبيبة بنت ابي سفيان ومعاوية و قبر بلال ليكون بذلك قد نقل معلومات مهمه وقيمة عن هذا البلد وليغادر بعدها متوجها نحو البصرة .

ثالثا : رحلة ابن بطوطة الى بلاد الصين (745هـ /1345م)

من الرحلات المهمة التي قام بها ابن بطوطة هي رحلته الى بلاد الصين وزيارته لها حيث زار ابن بطوطة بلاد الصين في عام (745هـ /1345م) خلال عصر أسرة يوان المغولية (770هـ-1054/ 1368- 1644م) [55]وخلال عصر آخر أباطرتها الإمبراطور طغون تيمور وكانت الصين خلال ذلك العصر قد جذبت انتباه كثير من الرحالة الذين زاروها كابن بطوطة والرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو . ومن المدن المهمة التي زارها ابن بطوطة في ذلك الوقت مدينة خانفو او خانقو كما اسماها المسعودي وايضا اطلقت عليها العديد من التسميات الحديثة [56].

وصل ابن بطوطة إلى مدينة (غوانتشو) ثم وصل إلى مدينة الزيتون (تشيوانتشو) ، الميناء الرئيس في جنوب الصين في عهد أسرة يوان ، ومن تشيوانتشو ، ذهب إلى مدينة الخنساء (هانغتشو) مرة أخرى ، وعبر قناة بكين هانغتشو الكبرى على طول الطريق شمالا إلى العاصمة بكين [57], فانصب اهتمام ابن بطوطة على تسجيل غرائب وعجائب الصين ففي كتابه سجل ابن بطوطة كثيرا من مظاهر الحياة الخاصة بأهل الصين وهي المظاهر التي جذبت انتباهه غير مرة وأثارت فضوله واستنفرت حواسه في عديد المرات وما ذلك إلا دلائل على وجود حضارة عظيمة ونظم محكمة سار عليها أهل الصين وأصبحت حاكمة لمجتمعاتهم من عادات وتقاليد وغيرها وقد أفرد ابن بطوطة شواهد موفورة أشار فيها إلى دياناتها وأرضها ومائها وأنهارها وبحارها وصنائعها من حرير وفخار وفضة وذهب ، كذلك ما اختصت به من الصناعات حيث يقول : وأهل الصين أعظم الأمم إحكاما للصناعات ، وأشدهم إتقانا فيها ، وذلك مشهور من حالهم ، قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه ويقول أيضا : ثم سافرنا عن بلاد طوالسي فوصلنا بعد سبعة عشر يوما والريح مساعدة لنا ، ونحن نشير بها أشد السير وأحسنه إلى بلاد الصين ، وإقليم الصين متسع ، كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة [58].

1-امان بلاد الصين :

ذكرابن بطوطة في هذا المجال انه يذهب الى هذه البلاد كل من يبحث عن الأمن والأمان في بلاد الصين و ذكر ايضا غير مرة أن الصين أكثر البلاد أمنا وأحسنها حالا للمسافرين ، وفي هذا يقول يسافر فيها من يريد منفردا مسيرة تسعة أشهر ومعه الأموال الطائلة والتجارات فلا يخاف عليها ، وترتيب ذلك أن لهم في كل منزل ببلادهم فندقا ، عليه حاكم يسكن به جماعة من الفرسان والرجال ، فإذا كان بعد المغرب أو

---

[54]) المصدر نفسه ص 90-97.
[55]) وفي عهد أسرة يوان ازداد الإسلام واصبح من اديان الصين للمزيد ينظر , مؤنس , حسين , الاسلام الفاتح , (1401هـ / 1981م) , ط1 , ص70 .
[56]) التاجر, سليمان ، عجائب الدنيا وقياس البلدان ، تح : سيف شاهين المريخي , مركز زايد للتراث والتاريخ, ص 41 للمزيد مراجعة : ابن خرداذبة, أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت(280هـ/ 894م) المسالك والممالك ، دار صادر افيست لندن (1306هـ /١٨٨٩ م) , ص 69 , الهمداني , عبدالله احمد بن محمد بن إسحاق ، البلدان ، تح: يوسف المادي ، عالم الكتب – بيروت (1416هـ/ ١٩٩٦ م) , ط 1 ،ص ١٨ .
[57]) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 642 .
[58]) المصدر نفسه , ص 639.

العشاء ، جاء الحاكم إلى الفندق ، ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من يبيت فيه من وختم عليها ، وأقفل باب الفندق عليهم ، فإذا كان بعد الصبح ، جاء ومعه كاتبه فدعا كل إنسان باسمه ، وبعث معهم من يوصلهم إلى المنزل الثاني له ، ويأتيه ببراءة من حاكم المنزل الجديد أن الجميع قد وصلوا إليه ، وإن لم يفعل طالبه بهم ، وهكذا كل منزل ببلادهم من مدينة غوانتشو إلى خان بالق [59] مدينة بكين وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج إليه المسافر من الأزواد وخصوصا الدجاج [60] وقد اعتمد ابن بطوطة على تسجيل كل ما شاهده من عجائب بلاد الصين ، وكان من أغرب ما لفت انتباهه هو دجاج الصين حيث قال : ودجاج الصين وديوكها ضخمة جدا ، أضخم من الإوز عندنا . وبيض الدجاج عندهم أضخم من بيض الإوز عندنا ، وأما الإوز عندهم فلا ضخامة لها . ولقد اشترينا دجاجة ، فأردنا طبخها ، فلم يسع لحمها في برمة واحدة ، فجعلناها في برمتين . ويكون الديك بها على قدر النعامة . وربما انتف ريشها ، فيبقى بضعة حمراء . وأول ما رأيت الديك بمدينة كولم ، فظننته نعامة وعجبت منه ، فقال لي صاحبه إن ببلاد الصين الصيني ما هو أعظم منه . فلما وصلت إلى الصين رأيت مصداق ما أخبرني به من ذلك [61] ونلاحظ هنا غرابة هذا الوصف وفيه شك المبالغة مما يثير الشكوك في هذا الكلام ويخضعه للتحليل وربما لايتوافق مع ماذكره الرحالة الاخرين من وصف للحيوانات رغم انه اشار الى انه قد سمع هذه الاوصاف قديما وانه عندما زار الصين راى ذلك الانه يخضع للنقد كون الفترة هي فترة حديثة خاصة عند التاكد من حلول الدين الاسلامي وبالتالي من وجهة نظرنا ان هذا الامر مبالغ فيه .

2- الفنادق في الصين واماكن المبيت للزوار

كان للصينيين نظم محكمة خاصة بالفندقة وما يتصل بها من العلائق الخاصة بالتجارة عماد اقتصادهم واقتصاد العالم في العصور الوسطى ففي هذا الصدد يقول ابن بطوطة : " وإذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خير في النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين معين أو في الفندق ، فإن أحب النزول عند التاجر حصر ما له ، وضمنه التاجر المستوطن ، وأنفق عليه منه بالمعروف ، فإذا أراد السفر بحث عن ماله ، فإن وجد شيئا منه قد ضاع ضمنه ، وإن أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب امانات الفندق وضمنه ، وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه ، فإن أراد التسري اشترى له اجر المستوطن الذي جارية وأسكنه بدار يكون بابها في الفندق [62] , واشار الى انه كانت عناية الصينيين بالزائرين عظيمة وكانوا شديدي الحرص على الزائر والتاجر الأجنبي ، ومبتغاهم في هذا أنهم كانوا حريصين على الحفاظ على سمعة بلادهم حرضا كبيرا ، حيث يقول ابن بطوطة في هذا الشأن : والجواري رخيصات الأثمان , إلا أن أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم ، وليس ذلك عيبا عندهم غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ، ولا يمنعون أيضا منه إن اختاروه وكذلك إن أراد التزوج تزوج ، وأما إنفاق ماله الزائر- التاجر في الفساد فشيء لاسبيل له إليه ويقولون :لا نريد أن يسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا فإنها أرض ضلال [63] .

3- ذكر فن اهل الصين وعمارتهم :

ذكر ابن بطوطة في تسجيلاته ذكر وبراعة الفنانين الصينيين ومهارتهم في فن التصوير ، حيث يقول وأهل الصين أعظم الأمم إحكاما للصناعات ، وأشدهم إتقانا فيها ، وذلك مشهور من حالهم ، قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه . أن الفن الصيني فن عريق في القدم ، احتفظ بكثير من أساليبه الفنية على مر العصور ، وازدهر في محيط اجتماعي واسع ، وكانت له وحدة فنية منذ الألف الثالثة قبل المسيح إلى

[59]) كانت بكين تسمى بهذا الاسم وفقا لما رواه العمري , للمزيد راجع : العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى ت (749 هـ /1349م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت, ص٢٧ .
[60]) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة, ص 644-667 .
[61]) المصدر نفسه، ص 640.
[62]) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة, ص 680 .
[63]) المصدر نفسه, ص 644 .

العصر الحاضر ، وقد عرف المسلمون هذا الفن منذ فجر الإسلام ، وأعجبوا بمنتجاته فتأثروا بها [64] وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في إحكامه ، من الروم ولا من سواهم ؛ فإن لهم فيه اقتدارا عظيما . ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك ، أني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ، ثم عدت إليها ، إلا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والقواعد ، موضوعة في الأسواق ، ولقد دخلت إلى مدينة السلطان فمررت على ، ووصلت إلى قصره مع أصحابي ، ونحن على زي العراقيين , فلما ذهبت من سوق النقاشين عدت من القصر عشيا ومررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في كاغد قد ألصقوه بالحائط فجعل الواحد منا ينظر إلى صورة صاحبه لا تخطي شيئا من شبهه وذكر لي أن السلطان أمرهم بذلك وأنهم أتوا إلى قصره ونحن به فجعلوا ينظرون إلينا ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمر بهم وتنتهي حالهم في ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعث صورته إلى البلاد وبحث عنه فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذ [65], وهذا يدل على التطور الثقافي الحضاري الذي وصلت اليه الصين في ذلك الوقت ودقة النظام الاداري الموجود في تلك البلاد .

ذكر فقراء هذا البلد :

اشار ابن بطوطة في رحلته الى ان بلاد الصين هي ارض الفقراء فقال : فإنها أرض الرعاية بالفقراء ومن مظاهر رعاية الصينيين بالفقراء والمساكين في بلاد الصين ، يذكر ابن بطوطة في معرض حديثه عن مدينة كلان [66] (بفتح الكاف وهي مدينة غوانتشو حاليا بمقاطعة غواندونغ) وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة ، لها تسعة أبواب ، داخل كل باب أسطوان ومصاطب ، يقعد عليها الساكنون بها ، وبين البابين الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان وأهل الزمانات ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة وكذلك فيما بين الأبواب كلها وفي داخلها المارستان للمرضى والمطبخة لطبخ الأغذية وفيها ما الأطباء والخدام, وذكر أن الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة وكذلك الأيتام والأرامل ممن لا مال لهم [67].

الاستنتاجات :

نستنتج مما سبق العديد من الامور المهمة التي لاقتنا في موضوع الدراسة فقد كان ابن بطوطة بحق رحالة فاق التصورات سائرا على نهج من سبقوه امثال ابن جبير وغيرهم لذلك نرى من خلال بحثنا عدة نقاط نستطيع ان نوجزها بالشكل التالي :

اولا : كان لمولده فاتحة امل في بلاد المغرب ليمثلها في اسفاره واصبح يدعى الرحالة المغربي وفي ذلك شان كبير وعظيم.

ثانيا: من خلال سيرته ورحلاته تبين ان رحلاته كانت ساسية واجتماعية غلب عليها الطابع الوصفي وقل عند ه الجانب الاقتصادي كونه لم يكن تجارا كالرحالة الاخرين امثال سليمان التاجر وغيرهم .

ثالثا : كان لزيارته الى مدينة الموصل اثر مميز وواضح حيث نقل اخبار اهلها وعمرانها ونقل ايضا اخبار حكامها والاحداث التي حدثت فيها من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

رابعا : كان لزيارته الى بلاد الشام طبيعة استكشافية مميزة خاصة انه قد زارها ثلاث زيارات تختلف الواحدة عن الاخرى في عدة سنوات لنرى تجواله بين مدن هذا البلد ونقل اخبارهم وزيارة قبورهم فضلا عن نقل ما شاهده اثناء تنقله في تلك الطرق .

---

[64]) حسن , زكي محمد ، الصين وفنون الاسلام، مؤسسة هنداوي، مصر , (1433هـ / 2012م) ,ص ٨ .
[65]) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 643.
[66]) يشير الحموي انها احدى بلدان الهند , للمزيد ينظر : الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص475.
[67]) ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة , ص 646.

خامسا: كانت زيارته الى الصين تحمل طابع سياسي كون ملك الهند ارسله الى قبيلة يان المغولية للتفاوض معهم فضلا عن ذلك قام الرحالة بتسجيل الاحداث والوقائع التي رآها فنقل لنا عادات اهل الصين وتقاليدهم فضلا عن نقل بقية معاملة هؤلاء الاقوم للمسلمين الوافدين اليهم وماهي طبيعة تلك العلاقات التجارية وكيف خصص هناك نظام سمي بنظام الفندقة والذي يسهم في مبيت التجار ويساعد على قضاء حوائجهم لنكون ذلك قد اخذنا جانب مهم من جوانب هذا الرحالة المهم والله ولي التوفيق ..

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم**

1- ابن الخطيب, لسان الدين ابن الخطيب , ت (776هـ /1375م) الاحاطة في اخبار غرناطة , تح محمد عبد الله عنان ,مكتبة الخاجي القاهرة , ط 4 (1421هـ / 2001م) , ج 3.
2- ابن بطوطة , محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي ت(779 هـ /1377م) رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار تح كرم البستاني , ط1, بيروت , دار صادر(1418 هـ / 1997م) .
3- ابن تغري بردي, جمال الدين ابي المحاسن يوسف ت(874هـ /1470م) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , تح محمد حسين شمس الدين , دار الكتب العلمية, بيروت لبنان , ط1, ج 10.
4- ابن خرداذبة, أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت(280هـ/ 894م) المسالك والممالك ، دار صادر افيست لندن (1306هـ /١٨٨٩ م) .
5- ابن خلدون , ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (808 هـ / 1406م) , مقدمة ابن خلدون , تح عبد الله محمد الدرويش ط1 , (1425 هـ / 2004م) دار يعرب, دمشق.
6- ابن خلدون, ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي التونسي القاهره المالكي ت (808 هـ/ 1406م) , العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر تاريخ ابن خلدون, تح ابو صهيب الكرمي, بيت الافكار, ج5 .
7- احمد رمضان احمد ,الرحلة والرحالة المسلمون , , دار البيان العربي
8- البستاني , بطرس , دائرة المعارف , بيروت , ج1.
9- البغدادي , صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق , ت (739هـ / 1339م) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع , , تح علي محمد بجاي , دار جبل , بيروت , ج3.
10- التاجر, سليمان ، عجائب الدنيا وقياس البلدان ، تح : سيف شاهين المريخي , مركز زايد للتراث والتاريخ.
11- حسن , زكي محمد ، الصين وفنون الاسلام، مؤسسة هنداوي، مصر , (1433هـ / 2012م).
12- الحموي,شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي , ت (626هـ / 1229م) معجم البلدان, دار صادر , بيروت لبنان ,مج4.
13- الصفدي , صلاح الدين خليل بن ايبك ت(764 هـ /1363م) الوافي بالوفيات , تح احمد الارناؤوط , دار احياء التراث العربي , بيروت لبنان , ط1(1420 هـ /2000م) ج 8.
14- عابد, محمد يوسف عمر, بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة , رسالة منشورة , تح صابر محمد دياب , جامعةام القرى .
15- العسقلاني , شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد, ت(853 هـ / 1450 م), الدرر الكامنة , , تح محمد عبد المعيد , دار المعارف العثمانية , ج 1 .
16- العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن احمد بن علي بن احمد الشهير بابن حجر العسقلاني ت (852 هـ/ 1449م) الدرر الكامنة ، ج 5 .
17- العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى ت(749 هـ /1349م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
18- كحالة , عمر رضا, معجم المؤلفين, مؤسسة الرسالة , بيروت , ط1, ج3.

19-كراتشكوفسكي, اغناطيوس يوليا نوفيش كراتشكوفسكي (1370هـ / 1951م) تاريخ الادب الجغرافي العربي , نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم , ط2, تونس ,دار الغرب الاسلامي(1408 هـ / 1988م) .
20-كنون , عبد اله كنون ,ذكريات مشاهير رجال المغرب , , تح الدكتور محمد بن عزوز , دار ابن حزم, ,ط1, (1430هـ/2010م) ج1.
21-مؤنس , حسين ,ابن بطوطة ورحلاته, دار المعارف - القاهرة .
22-مؤنس , حسين , الاسلام الفاتح ,مطبوعات رابطة العالم الاسلامي (1401هـ / 1981م) , ط1 .
23- الهمداني , عبدالله احمد بن محمد بن إسحاق ، البلدان ، تح: يوسف المادي ، عالم الكتب بيروت (1416هـ/ ١٩٩٦ م) , ط 1 .
24-الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (718 هـ / 1319م) ، جامع التواريخ ، ترجمة : محمد صادق نشأت ، محمد الصياد ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، - موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد دار احياء الكتب العربيه القاهرة(1380هـ / 1961م) م2, ج1.